قاعرة

للشاعر القادر الأستاذ فؤاد بليبل

" الفاجرة " أو " العاهرة " منبوذة ملعونة من جميع الناس ، لأنها المثل البارز للتجرد من كل حياء ، ولأنها عرض مهدور وشرف مضيع يعبث به من شاء ، ولكن لو لم يكن الزنا والزناة ما كان العهر ولا العاهرات ، فهذا المجتمع الذى يصب لعنته واحتقاره على " الفاجرة " شريك لها فى الفجور ، وهو جدير بنصيب من الملامة لأنه عجز عن صون هذا العرض ولم يحصنه بدرع من التربية الصالحة ، ولم يهيئ لصاحبته رزقا حلالا يعصمها من الرزق الحرام ، ونكبة هذه المسكينة بسخط الناس ، ليست أهون من نكبتها بسقوطها فى مهاوى الزلل .

هذه المعانى يجلوها الشاعر الفاضل فى قصيدته أحسن جلاء ، وليس ينقص هذه القصيدة إلا أن يوضع تحتها اسم أحد أمراء الشعر لتنعت بما هى جديرة به من نعوت ، ولتضفى عليها صفات التمجيد والتعظيم ، وهى والله كذلك وإن لم تحمل غير اسم ناظمها المتواضع " فؤاد بليبل "

« المحرر »

أسالت من نبذوك نبذَ المنكرِ ... كم بينهم من فاجر متستر ؟
الخيِّرون وهم أشرُّ[1] بنى الورى ... الأبرياء وليس فيهم من برى
الصَّائمون المفطِرُون على الدِّما ... الظامئون الى النجيع الأحمر
الحانثون بكل عهد مبرم ... العابثون بكل ذات تخفر
المصلحون وليس فيهم مصلح ... الطاهرون وليهم لم يفجر ؟
الرائحون المغتدون على الخنا ... فى معشر قبحا لهم من معشر
القائلون بغير ما قد أضمروا ... من معلن ، أو أعلنوا من مُضْمَر
يتمرغون على القذارة والقذى ... ويحدثونك عن صفاء الكوثر !
من كل عادٍ فى ملابس عادلٍ ... أو ثعلب يزهى بلبدة حيدر
أو كافر متعبد ، أو فاسق ... متعفف ، أو صاغر متكبر
جيفٌ إذا نزت الهموم فنهمها ... حشوُ البطون ، وكمرُ كلِّ مجبَّر

(١) أشر وأخير ، أفعلا تفضيل من شر وخير .

ولَرُبَّ عاهـــرة أعف شمائلا ... من كل عربيـــدٍ تقيّ المظهر
نصبوا الرياء على خطاكِ حبائلا ... أعمـاكِ بارقهُ فـلم تستبصرى
أغراك ما أغرى الفراشـة باللظى ... فقضت ضحية جمـره المتسـعّر
لم تبـلغى بعض الرجاء وإنمـا ... أَلْمَحْـتِ عِرضكَ كل وغدٍ مفتر
حتى إذا تم اختبـارك للورى ... وسلختِ فى المـاخور بضـعة أشهر
وسبرت أغوار الحيـاة : نعيمها ... وجحيمهـا ، وكشفت كل مستّر
وخبرتِ أخلاقَ الرجال جميعهم ... وبلوتهم ؛ فرأيت كل محـيرّ
وعَجَمتِ عـــود خلالهم فوجدته ... عودا خسيس النبت ؛ هشّ المكسر
ألفيتِ أوفاهم بعهـــدكِ غادرا ... ورأيت ذا الإقـــدام أول مدبر
ولمستِ بهتـان الغنىّ ومـــكرَه ... وشهدتِ عدوان الفقـــير المعسر
وبلوت ألوان المـــذلة والضنى ... وعلمت أنك فى ظلام معـــكر
فهممتِ أن تَدَعى الغرور وترعوى ... عن نهـــج ذاك المسلك المتوعر
وأبتْ نواميس الحيـاة وشرعها ... أن تســـتردى ما فقدت وتطهُرى
لم يُجْـــدِكِ الدمع الصبيب شفاعةً ... نفذى بأسباب التجمل أو ذَرى
فإن ندمت فلن يصـــدقَك امرؤ ... ولئن شـــكوت فلات حين تذمر
ولئن رجعتِ الى التعفف والتقى ... لم تأمنى عبث السفيه المـترى
ولئن طرحت الإثم منـــكرةً له ... لم تلبثى والله حتى تنـــكرَى
إن الألى أحـــوا عليك بلومهم ... هم أكرهـــوك على احتراف المنكر
ولقد أرادوا أن تكونى دُمَيّـــة ... يلهو بهـا كل امرئ مستهتر
زعمـــوك فاجرة ولولا فسقهم ... لظلمت طـاهرة ولم تتـــدهورى
ودعوك بائعة الأثيم من الهـــوى ... كذبوا ، فإن الذنب ذنب المشترى
لم يغفروا لك مـا جنيت وإنمـا ... غفروا لمـاتِك عرضك المتدنّر
رأفوا بمن هدروا دماك فـالهم ... لا يرأفون بدمعـــك المتحدر ؟
وتبادلوا رشـــق القتيل بلومهم ... وتجاوزوا عن جرم قاتله الزرى !
مـا بالهم قـــد عيروك دعارة ... ما كان أخلقهـا بكل معيّر !
جَدَلا عهرت ألم يكن فى وسعهم ... أن ينقذوك من الهـلاك الأكبر ؟

لكنهم نبـــذوك من أوســاطهم ... نبـــذ النواة على الطريق المقفر
هم جرّدوك من الحياء بجاهرى ... بسلوكك المزرى ولا تتستر
وقضى الحيـاة على الدعارة وانفثى ... فى النـاس سم بفورك المتفجر
وامشى على الأشلاء نشوى وارقصى ... فى مأتم الأخلاق شهوى ، واسكرى
ثورى على كل الرجال وأنشبى ... فيهم براثن حقـدك المستأثر
لا تشربى غير الدماء ولا تفى ... لفتى، وخونى ، واستبدى ، واغدرى
وتمرغى بالمخـــزيات وقـامرى ... مع من أردت بعرضك المستأجَر
واســتقبلى زمر الزنـاة بمبسم ... يفتر عن شـــبه الجحيم المســـعر
صهرت مقبِّـــلَه الملـغم شهوة ... هوجاء تعصف بالثغور وتزدرى
فـــكأنه البركان يقذف حـوله ... حُمما من النهـم الدنىء المذعر
متعطشٌ للرجس دون سُـــعاره ... شره الذئاب الطاويات الكَسر
كن الهـــلاك به فملء لعـابه ... سمّ يصـفق بالرحيق المســـكِر

* * *

أنهـــداتك أم فحيـــح أراقم ... رقشاء ، أم زفرات ريح صرصر ؟ !
أم مرجل الحقـــد الكمين تفجرت ... نيرانه ، أم لهث كلب مُسْعر ؟ !
تتـــدفق الشهوات منه لواهـا ... وتشع فى عينيك شـــبه الجمر

* * *

لله تاجرة بمنعـــرج الحمـــى ... عرضت بضاعتها على من يشترى
وقفت تساومنى وفى لفتـاتها ... شىء دهشت له غريبُ المنـظر
ورنت الى وفى بريق عيونها ... ذل الوضـــيع وثورة المتـــكبر
ووقفت مضطرب الفؤاد حيالها ... حيران بين تقـــدم وتأخر
فى غرفة حمـــراء تحسب أنها ... قد ضرجت بدم العفاف المهـــدر
سدلت ستائرها ، ورد رتاجها ... فى عزلة عن كل طرف مبصر
مصباحها الوهـاج عين لم تنم ... تحصى عداد الفاســـقين الزور
ومضت تحدق بى بمقلة شادن ... ومضيت أرمقها بعينى قَسْور

حسناء قيد العين ، فى لحظاتها ... فتن السواحر واحورار الجؤذر
شفت ملابسها ، ورق دثارها ... فكأنها عريت ولم تتدثر
وتمايلت أعطافها فكأنها ... أفعى قد انسابت على العشب الطرى
أما ذوائبها بفُنُح دُجُنَّة ... وجبينها فلق الصباح المسفر
متألق القسمات إلا أنه ... كتب الشقاء عليه بضعة أسطر
وبدت رسوم نهودها فحسبتها ... عن صدرها حَسَرت وإن لم تحسر
فإذا بحُقّ فضة قد فلقا ... بغشاه عاج ، فى صحيفة مرمر
رفّ الدلال عليهما فتمايلا ... متعانقين شبيه غصن مثمر
يتآمران على اقتناصى عنوة ... بمحذر ماخلته بمحذر
فدفنتُ بينهما بقية عفة ... فى القلب ماجلها الفجور بخنجر
وشهدت مصرع شاعر أودى به ... نزق الصبا وأتى بما لم يُغفر
ولو آنه لبى نداء ضميره ... لنجا بعفة قلبه المتحسّر

* * *

تركت فريستها وقامت حية ... رقطاء تمشى بالخطى المتعثر
ورنوت لم أر من نضارتها سوى ... سقم تفشى فى محيا أصفر
وتغيرت تلك الوسامة واغتدت ... قبحا ، فيالجمالها المتغير
وإذا بهاتيك اللحاظ دميمة ... وإذا بذاك النهد غير مكور
وإذا بساقيها ومأنس قدها ... قد أصبحت مثل القنا المتكسر
وإذا بذاك الوجه غاض معينه ... وذوت بشاشة حسنه المتنكر
وإذا بعينيها كثقبى إبرة ... وإذا بذاك اللون جِدُّ مُعَصفَر
وإذا بنفسى قد صحت من سكرة ... قَصُرت وكنت أظنها لم تَقْصُر
وأفقت مذعورا على قلب غدا ... إن يدعه داعى الرذيلة ينفر
واستوقفتنى إذ هممت بتركها ... ولقد وهى جَلَدى وعِيلَ تصبّرى
قالت : أطاب لك الهوى ؟ فأجبتها ... أين الهوى من قلبك المتحجر !
أربيبة المأخور قدْك (١) تكلفا ... بخيالك الكذاب غير مؤثر

(١) قدك بمعنى حسبك أو كفاك .

ما إن عريت من العفاف وطهره ... حتى ائتزرت من الفجور بمئزر
فغـــدوت لا نفس تحس ولا هوى ... عف ولا قلب كريم المخـــبر
ياوردة عصف الذبول بعطرها ... لا خير فى الريحان غير معطّـــر
والغصن يعشق فى الخمائل مزهرا ... وتمـــلّ منه النفس إن لم يُزهر
والنـاس يهوون الجمـال مجســدا ... وأحبـــه روحا كريم المحتر
عَرَض به نَعِمَ الغواةُ ولم يطب ... للشاعر الفنان غيرُ الجوهر

* * *

أنا لست أعجب من فجورك حائرا ... إنى لأعجب منك إن لم تفجرى
فتشت عن متزئف بك لم أجد ... غـــير الحقود الشانئ المتهور
ليت الذين على اضطهادك أجمعوا ... قبـــلوا الدموع شفـاعة بمكفّر
هم أرغموك على الفجور وما اهتدوا ... يوما إلى إصـلاحك المتعـــذر
وقسوا عليك وما قسوتِ ، وربما ... أجدى الترفق بالمسىء المجـــترى
لم يُنصفوك بنبـــذهم إياك بل ... ظلموك فانتقمى لنفسك وانأرى
قد حاولوا بالنار إخمـاد اللظى ... أتراهمو ضـــلوا سبيل الأنهر

* * *

أوزارة الإصلاح تلك ضحيـــة ... إن تشمليها بانتبـاهك تؤجرى
لى فيك آمال تداعب خاطرى ... ورجاء مرتقب لهـا مستبشر
ولرب عاهرة إذا ما أصلحت ... كانت أعف من العفاف الأطهر
لا تتركيهـا للصروف وشأنهـا ... فلأنت أنت رجاؤها فتـــدبّرى

فؤاد بليبل